المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقَاته ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتم مُّسْلمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد .. فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النَّار.

وبعد.. فالمسلمون في أي مكان وزمان واجب عليهم التناصح فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، ودعوة غيرهم إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر)، وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢)، وقال ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟، قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٧/١٥٦-١٥٧)، وأخرجه البخاري في ترجمة باب (٤٢) كتاب «الإيمان»، ولم يخرجه مسندًا لأنه على غير شرطه.

فالواجب على المسلم الامتثال لأوامره وطاعة رسوله ﷺ والنصح لله ولعباده لأن في ذلك السعادة كلها في الدنيا والآخرة، والعزة للمسلمين لا تكون إلا بذلك حيث يعلي سبحانه كلمتهم وينصرهم على أعدائهم مهما كثروا وتعاونوا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات:١٧٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨)، والقلة المسلمة في كل مكان لاشك أنهم في أمس الحاجة إلى المساعدة المادية والمعنوية لإقامة المساجد وبناء المدارس ونحو ذلك مما يعينهم في عملهم الإسلامي، وواجب على كل مسلم أن يعينهم بقدر طاقته مع إرسال الدعاة لهم لتعليمهم العقيدة الصحيحة واللغة العربية، لأن الكثير منهم في جهل كبير بأمور دينهم.

ووصيتي لإخواني المسلمين في الأقليات الإسلامية وفي كل مكان أن يتقوا الله وأن يتفقهوا في دينهم ويسألوا أهل العلم عما أشكل، وأن يحرصوا على تعلم اللغة العربية ليستعينوا بها على فهم كتاب الله - عزَّ وجلَّ - وسنة نبيه ﷺ، وأول ذلك الاهتمام بكتاب الله فهمًا وعملاً، كما جاء في الحديث الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ثم قراءة كتب الحديث الموثوقة المعتبرة، وغيرها من كتب الفقه والعقيدة عند أهل السنة والجماعة، وأن يتلقوا كل ذلك على أيدي علماء معروفين بالصلاح والتقوى وحسن العقيدة والعلم الصحيح.

وعلى الإخوة العلماء في المجتمعات ذات الأقلية المسلمة أن ينشطوا في مجال الدعوة إلى الله بين إخوانهم وغيرهم، ولهم الأجر والثواب من الله - سبحانه وتعالى -.

وهذا العمل من أجلِّ الأعمال وأعظمها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣).

ثم بعد ذلك يجب عليهم تبليغ هذا الدين إلى من حولهم من الأمم الأخرى لأنه دين الإسلام للناس كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨)، وهذه المجتمعات بأشد الحاجة إلى هذا الدين، والداعي إلى الله يحصل له الأجر العظيم إذا كان سببًا في هداية هؤلاء وإرشادهم لما خفى عليهم من أمور دين الإسلام كما ورد في قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم».

فبهذه الدعوة يدخل في دين الله ـ دين الإسلام إن شاء الله ـ أفواج ويقل عدد الكفار فتصبح الغلبة إن شاء الله تعالى للمسلمين، وإن لم يتمكن المسلم في تلك البلاد من الدعوة فعليه أن يلتزم بدينه وأن يتخلق بالأخلاق والآداب الإسلامية، لأنها دعوة بالفعل ولأنها محببة لذوي العقول الصحيحة فيتأثر الناس غالبًا بهذه الصفات الحميدة، ولقد دخل الإسلام إلى بعض جنوب شرق آسيا بأخلاق التجار من الأمانة والصدق في المعاملة، ومتى عجز المسلم عن إظهار دينه في بلد إقامته بحيث لا يأمن على دينه وعرضه وماله، فإنه يجب عليه الهجرة إلى بلاد آمنة يستطيع فيها أن يؤدي شعائر دينه بأمن وراحة بال إذا استطاع ذلك، عملاً بالآيات والأحاديث الواردة في ذلك.

وإسهامًا منّي في النصح لإخواني المسلمين في البلاد الغير إسلامية أقدم هذا الكتاب الذي يحوي فتاوى أهل العلم فيما تكثر الحاجة إليه، وأسأل الله أن ينفعني والمسلمين به، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جمع وترتيب
ابو انس/ صلاح الدين محمود السعيد
مصر ـ دمياط ـ باب الحرس
مجمع دار السلام

نصيحة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين
للمسلمين في البلاد الغربية[1]

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالهدى ودين الحق، على حين فترة من الرسل، وانطماس من السبل، على حين كان الناس أحوج إلى الرسالة منهم إلى الطعام والشراب والهواء، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بعثه الله تعالى بدين الحق ليظهره على الدين كله، دين الحق الذي لا يمكن أن يشتمل على باطل أبداً، دين الحق الموافق للفطرة، ولكل عقل صريح، سالم من الشبهات والشهوات، واستجابت الأمة لدعوته، وانتشر دينه في أقطار الدنيا، حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

ولم تزل الأمة الإسلامية ظاهرة على أعدائها حتى حصل فيها التفرقة والاختلاف، وإذا دَبَّ التفرق والاختلاف في أمة حل فيها الفشل لقول الله تعالى: ﴿ ولا تنازعُوا فتفشَلُوا وتذهَبَ ريحُكُمْ واصْبرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابرينَ ﴾ (الأنفال:٤٦)، ولكن مع هذا فقد بشرنا رسول الله ﷺ بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

---

(١) كتاب «الصحوة الإسلامية توجيهات وضوابط» للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد/ علي لوز.

أيها الإخوة.. أيها الشباب المسلم .. كم كنت أتمنى أن يحصل اللقاء بكم؟

قد يتوقع متوقع أن اللقاء يكون في أماكنكم في البلاد المتشتتة، ولكن بنعمة من الله وفضل كان اللقاء بكم هنا في الجزيرة العربية مبتدئ الوحي ومنتهاه، إذ لا يشك أحد أن الإسلام بدأ من هذه الجزيرة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الإيمان يرجع إلى المدينة كما ترجع الحية إلى جحرها[1].

وإن لقائي بكم في هذه البلاد من فضل الله تعالى على الجميع؛ لأننا وإن كنا لا نصل إلى بلادكم فإننا نسمع من أخباركم، نسمع أن هناك شبابًا طموحًا يدعو إلى دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وبقدر ما يستطيع من علم وتوجيه وإرشاد، وكل من نشد الكمال فإن إنشاده الكمال من الكمال، وكل من ظن أنه كمل فإنه ناقص؛ لأنه من ظن أنه كمل سيتوقف عن المسيرة، ولكن من نشد الكمال فإنه سوف يسير حتى يصل إلى الكمال، وفوق كل ذي علم عليم.

إن الصحوة الإسلامية التي نسمعها هنا في بلادنا، وفي البلاد الإسلامية عامة، وفي بعض بلاد الكفر، إنها تبشر بخير، ولاشك أن المرء يُسرُّ بذلك، لكن تحتاج هذه الصحوة إلى أن تكون مصحوبة بالحكمة؛ لأن من حرم الحكمة حرم خيرًا كثيرًا، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

ولكن ما هي الحكمة التي ينبغي أن يسير عليها الداعي إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ..

*** *الحكمة تكون بأمور:***

الأول ـ أن يكون الداعي على علم فيما يدعو إليه:

ولهذا أرى أن طلب العلم أولى بالتقديم من الدعوة إلى الله؛ لأن الله يقول عن رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف:١٠٨) أي: على علم وبرهان.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧).

إن الداعيـة إلى الله على بصيرة وعلم يمكنه أن يدافع، ويمكنه أن يـهاجم، يمكنه أن يدافع عن دينه الذي يـدعو إليـه بدحض الشبـهات، التي تورد عليـه، ويمكنه أن يهاجم الأديان الأخرى ببـيان بطلانها، وما فيهـا من انحراف وضلال مخالف للعقل والفطرة، لكن من يدعـو بدون علم سيقف في أثناء الطريق لأنه لا يستطيع أن يدافع ولا يستطيع أن يهاجم، وحـينئذ تكون المسألة عكسية، يقف أمام مجتمع ليـدعو إلى دين الإسلام، ثم يقوم طرف من أطراف الناس من ذوي العناد والاستكبار فـيورد عليه شيئًا من الشـبهات فيقف حيران، فـما ظنكم أيها الإخوة في مثل هذه الحال، ماذا تتصورون وهذا الرجل يدعو باسم الإسلام؟

إنني أتصـور ـ وأعتـقد أنكم تتـصورون كـذلك ـ أن في هذا هزيمة عظيـمة للدين الإسلامي، ولكنني إذا قلت: إن الأولى بالداعيـة أن يتعلم قبل أن يدعو، فليس معنى ذلك أني أقـول: لا يدعو مادام يتعلم، لا، بل يدعـو وهو يتعلم، يدعو إلى مسألة واحدة، علمها وأتقنهـا وأجادها، وبذلك يكون متعلمًا وداعيًا، كمـا قال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[1]، يعني ولو آية من كـتاب الله، أو مسألة واحـدة من مسائل الدين، وليس الداعي أو المبلغ لا يمكن أن يـكون داعيًا أو مبلغًا إلا إذا حفـظ أصول الدين وفروعه، فهذا شيء مما يكون سـببًا في نجاح الدعوة، أن يكون الإنسان على علم وبصيرة، علم يمكن أن يدافع به ويهاجم.

الثاني ـ أن يكون الداعية عاملاً بعلمه:

فإن العمل ترجمة للقول، كل قول لا يتـرجم بالعمل فإن مآله أو مآل أكثره بالفشل، ولـهذا يقول الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ مخاطـبًا المؤمنين: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لم تقُولُون ما لا تفْعلُون (٢) كبُر مقْتًا عند الله أن تقُولُوا ما لا تفْعلُون ﴾ (الصف: ٢-٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٦١).

ولا أعتقد أن عقلاً صريحًا يقبل من شخص يدعو إلى ترك شيء وهو متلبس به، أو يدعو إلى فعل شيء وهو متخلٍّ عنه، حتى وإن كان ما يدعو إليه حقًا فإن المدعو سوف يكون في نفسه تردد وشك، لماذا لا يفعل هذا الرجل ما كان يدعو إلى فعله؟ ولماذا لا يترك ما كان يدعو إلى تركه؟

فعمل الداعية بما علمه من دين الله وبما يدعو إليه عباد الله أمر مهم جدًا، ولهذا كان من صفات الرسول ﷺ كما وصفه ملك غسَّان: أنه كان لا يأمر بشيء إلا كان أول فاعل له، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، هذا أيضًا من الدعوة إلى الله بالحكمة، لأن الداعي إلى الله لا يقتدي الناس بأقواله فقط، بل حتى بأفعاله، أحيانًا تجدهم يقولون: أنت فعلت كذا وكذا . . فلماذا؟

يقولون ذلك إما معارضين، وإما مسترشدين، والمهم أن فعل الداعية له قيمة عند المدعوين، بل ربما يعتبرون الداعية بفعله أكثر من اعتبارهم إياه بقوله.

الثالث. أن ينزل الداعية الأمور منازلها ويضعها مواضعها:

لأن لكل مقام مقالاً، ولكل عامل حالاً، فليس الناس على حد سواء، وليست مواضع الدعوة على حد سواء، وليس تكيف نفوس الناس على حد سواء، ولهذا نجد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو الحكيم العليم في الأمور التي يكون الناس منغمسين فيها على خلاف ما يُرضي الله، نجد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يربي العباد فيها تربية، ويسوقهم إلى الحق شيئًا فشيء، وأنا أضرب لذلك مثلاً بقضية الخمر:

قضية الخمر، قضية مشكلة اجتماعية، لأن الخمر كان مألوفًا عند الناس يشربونه ليلاً ونهارًا وصباحًا ومساءً، انتشال الناس من هذا العمل الخبيث أمر ليس بالسهل إذا كان دفعة واحدة، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بحكمته وعلمه، بل

بحكمته ورحمته ساق الناس إلى اجتنابه على وجه مقبول، فقال فيه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

هذا العرض التحليلي للخمر أعتقد أن كل ذي لب يتركه وإن لم ينه عنه اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، لا أحتاج إلى نهي الإنسان العاقل متى علم أن إثم الشيء أكبر من نفعه فإن عقله يدعوه إلى اجتنابه بدون داع شرعي، بل بالوازع الفطري.

ثم أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بعد ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣)، كم الصلوات؟

الجواب: خمس صلوات، إذا كان الله نهى عباده أن يقربوا هذه الصلوات الخمس وهم سكارى، فمعنى ذلك أن خمسة أوقات من زمنهم سوف يجتنبون فيها الخمر، وهنا قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ إذن فلابد أن يدعُوا الخمر قبل دخول وقت الصلاة حتى لا يقربوها وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، هذه المرحلة الثانية يعتاد الإنسان فيها على ترك الخمر، في جملة من وقته.

ثم أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

فبهذه الآيات حُرمت الخمر تحريمًا باتًا شاملاً لجميع الأوقات، ولجميع الأحوال، هذا نوع من التدرج في المنهيات، وكذلك التدرج في المأمورات، فصيام رمضان إمساك عن شهوات النفس، عن الأكل والشرب والجماع.

﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (البقرة:١٨٧).

أمر شاق، شاق على النفوس ولاسيما في وقت الصيف الشديد الحر، الطويل الزمن، لكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بحكمته ورحمته فرض الصوم أول ما فرضه على التخيير، إن شاء الإنسان صام، وإن شاء أطعم، عن كل يوم مسكينًا، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (البقرة:١٨٤)، ثم أوجب الصيام عينًا في الآية التالية: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ (البقرة:١٨٥).

هل فيه تدرج .. فيه الإلزام؟ الجواب: نعم؛ لأن تخيير الإنسان بين الفعل والترك إلى بدل أهون عليه من الإيجاب عينًا، فكان في هذا تدرج في الإيجاب.

إذًا يمكن أن نتدرج بشخص ندعوه إلى الله فنبدأ أولاً بتوحيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ثم بأمره بالصلاة إذا استجاب، ثم بالزكاة، ثم بالصوم والحج، ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن وأمره: «أن يدعوهم ـ أول ما يدعوهم إليه ـ إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وفي لفظ: أن يوحدوا الله ـ قال: «فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»[1].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

إذن هذا من الحكمة أن نتدرج بالمدعو بحسب حاله، وبحسب ما يكون قابلاً بدعوتنا، أما أن ننفره فنقول: أنت على ضلال، أنت من أهل النار، أنت خاسر، فإن هذا لا يحصل به خير، بل يحصل به التنفير عن دين الإسلام.

واستمع إلى قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ولا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغَيْرِ علْمٍ كذلكَ زَيَّنَّا لكُلِّ أُمَّةٍ عَملَهُمْ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ما رأيكم في سب آلهة المشركين؟ أهو قربة مأمور بها؟

الجواب: نعم لاشك في هذا، لكن إذا كان يترتب عليه محظور شرعي أعظم منه فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿ولا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغَيْرِ علْمٍ﴾.

ومن هذه الآية الكريمة أخذ العلماء قاعدة مهمة وهي أن: «درء المفاسد أولى من جلب المصالح مع التساوي أو التقارب»، وهذا أيضًا من الحكمة في الدعوة إلى الله.

الرابع ـ توحيد صفوف المسلمين:

أي المسلمين الذين درجوا على طريق السلف الصالح؛ لأن الذي يمثل الإسلام حقيقة، ويحقق الإيمان هم السلف الصالح: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، القرون الثلاثة المفضلة؛ السير على منهاجهم هذا هو الإسلام، وهو الإيمان، وما خالف طريقهم؛ فإن فيه من الضلال بقدر ما خالف ذلك الطريق، أقول مرة ثانية: من الحكمة أن يوحِّد الدعاة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ صفوفهم في الدعوة إلى الله، وهي الدعوة إلى طريق السلف الصالح، وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي: «**من كان على مثل ما عليه هو وأصحابه**»[1]، وفي رواية: «**هي الجماعة الذين اجتمعوا**

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٨).

على الحق»[(١)]، والخلاف اليسير الذي لا يخرج بنا عن طريق السلف الصالح لا ينبغي أن يكون مثالاً للجدل والنزاع والعداوة والبغضاء؛ لأن مثل هذا الخلاف موجود في عهد الصحابة ﷺ، ومع هذا لم يخرجهم كونهم أمة واحدة، فهم أمة واحدة في الهدف وفي العمل، ولكن لا يلزم من ذلك أن يتفقوا في كل مسألة من مسائل الإيمان والدين، بل لابد أن يكون هناك خلاف، ولكن متى علمنا أن الواجب على كل مؤمن أن يرد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله أن ينصاع إليه، وإن خالف ما كان عليه من يقلده هذا الرجل أو يعظمه.

ونستمع إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو يقول: ﴿وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحُكمُهُ إلى الله ذلكُمُ اللهُ ربِّي عليه توكَّلتُ وإليه أُنيبُ﴾ (الشورى: ١٠)، تجد أن قوله: ﴿وما اختلفتم فيه من شيءٍ﴾، يدل على أنه لابد أن يكون هناك خلاف، ولكن إلى مَنْ نرجع في حكم ذلك الذي اختلفنا فيه؟ يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فحُكمُهُ إلى الله﴾، ماذا حكم الله به؟ أو بعبارة أصح ماذا حكم الله فيه؟ واستمع إلى الآية الأخرى: ﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردُّوهُ إلى الله والرسول إن كُنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾ (النساء: ٥٩)، خير في الحاضر، وأحسن تأويلاً في المآل والمستقبل، وصدق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إننا إن أرجعنا خلافنا إلى الله ورسوله كان ذلك خيراً لنا في الحاضر وكان أحسن مآلاً لنا في المستقبل، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسول الله ﷺ هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، فإذا رددنا ذلك الخلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بنية حسنة، لا ننوي أن ننصر رأينا، أو أن يكون قولنا أو قول مقلدنا هو المتبوع، وإنما نريد أن تطبق شريعة الله على حسب كلام الله وسنة رسوله ﷺ، إننا إذا كانت نيتنا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (٤/١٠٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤).

على هذا الوجه، وكان عندنا من القوة في استخراج الأحكام من أدلتها ما يكفينا فإننا سوف نتفق؛ لأن مادام الهدف واحدًا والسبيل واحدًا، فأين يكون الاختلاف؟ ولكن المشكلة كل المشكلة أن بعض الناس إذا رأى رأيًا، سواء أكان اجتهادًا من عنده أو تقليدًا لمن يحسن فيه الظن ويعظمه، لا يريد من الناس إلا أن يتبعوه، هذا خطأ، كل إنسان يريد من الناس أن يتبعوا قوله على خطئه وصوابه، فمعناه أنه اتخذ لنفسه مكانًا في الرسالة، في رسالة الرسول ﷺ؛ لأن الذي يجب أن يُطاع ويُتَّبع في كل ما يقول وما يفعل إنما هو الرسول ﷺ.

فأنت ـ يا أخي ـ لا تجعل نفسك ندًا لرسول الله ﷺ، بل اجعل الحق رائدك، سواء كنت ملتزمًا به أم مخالفًا له، ثم هداك الله له على يد أحد ممن أعطاهم الله العلم.

واعلم أن من نعمة الله عليك أن يمن عليك بشخص يبين لك الصواب، هذا من أكبر النعم، وكثيرًا ما يعرض للإنسان مسألة يرى أن الصواب فيها كذا وكذا، لكنه بعد المناقشة يرى أن الصواب فيها خلاف ما كان عليه فيرجع إلى الصواب، وما اختلاف الأقوال عن الأئمة إلا من هذا الباب:

إننا نجد أن المسألة يكون فيها قولان حتى للخلفاء الراشدين، حتى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره، نجد أن المسألة يكون فيها قولان أو أكثر للأئمة الذين اشتهرت مذاهبهم واتُبِعَت كالإمام أحمد مثلاً، لماذا؟

لأن العلم يتجدد، وعلم الإنسان يتجدد ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (النحل:٧٨)، قد يخفى عليَّ هذا الدليل مدة من الزمن حتى يمن الله عليَّ بالاطلاع عليه، وقد يخفى عليَّ دلالة هذا الدليل، إما لقصور في العلم، أو لتقصير في التدبر، حتى يفتح الله عليَّ،

وقد يخفى عليَّ ما يعارض هذا الدليل؛ لأن الدليل لابد أن يكون سالمًا عن المقاوم، وقد يخفى عليَّ ما يقاوم هذا الدليل فيتبين لي بعد ذلك.

والمهم أنني أدعوكم ـ أيها الشباب ـ إلى أن تجعلوا رائدكم دائمًا هو الدليل وأن لا تتخذوا من الخلاف مع الاجتهاد وحسن النية، لا تتخذوا من هذا الاختلاف مثارًا للجدل والنزاع فتتفرقوا وتذهب ريحكم.

الخامس ـ أن يكون للجماعات الأقلية مرجع يرجعون إليه:

وهو ما يسمى بالأمير، وقد يسمى بالرئيس؛ لأن الناس لا يصلحون بدون هذا، لا يصلحون بدون قائد، لا يصلحون بدون مرجع، ولهذا أمر النبي ﷺ من كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم[1] حتى يكون هناك مرجع، حتى الطيور في جو السماء، يقول أهل الخبرة: إن لكل فرقة منها قائدًا يقودها ويوجهها، وكذلك الظبي الماشية على الأرض لابد لها من قائد.

نحن أيضًا أقليات في بلاد غير مسلمة، لا تطبق الإسلام، وربما تحارب الإسلام، لابد أن يكون لنا شخص نرجع إليه، ولكن كيف يمكن أن ننصب هذا الشخص، ومن نختار؟

الشخص إذا كان فيه صفتان: القوة والأمانة، فهو الأهل، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل: ٣٩).

إذا وجدنا الشخص من هذه المجموعة قويًا أمينًا، فهو ضالتنا المنشودة، فنجعله الأمير.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠٨، ٢٦٠٩)، وقال الألباني في «صحيح أبي داود»: حسن صحيح.

وإن وجدنا قويًا لكنه فيه نقص في الأمانة نجعل له وزيرًا أمينًا، حتى يحصل من قوة هذا وأمانة هذا ما به الخير والمصلحة.

وإذا وجدنا أمينًا ولكنه ليس بقوي أضفنا إليه قويًا حتى تكمل الولاية والتدبير، وعندما أقول: «قوي أمين» فإن هذا يستلزم أن يكون عليمًا، أي عالمًا بشريعة الله، وعالمًا بأحوال الناس وعالمًا بما تتطلبه الدعوة؛ لأن هذا هو مصدر القوة، أو هو أساس القوة، لذلك فأنا أدعوكم ـ أيها الإخوة المنتشرون في بلاد لا تمثل الإسلام ـ أدعوكم إلى أن يكون لكم أمير، أو رئيس أو قائد أو ما تسمونه، المهم المعنى دون اللفظ، ولا مُشاحة في الاصطلاح.

* *هذا الرئيس نستفيد منه فوائد:*

الفائدة الأولى. أننا عند التنازع نرجع إليه، والبشر لابد أن يقع بينهم شيء من سوء التفاهم، فيحتاجون إلى أحد يحكم بينهم، فنرجع إليه، وعليه هو أن يتقي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في تحري الحق، والوصول إلى الحقيقة.

الفائدة الثانية. أننا نحن في الجماعة قد نحتاج إلى جمعية تعاونية بحيث تُكوِّن صندوقًا لمن أراد أن يتبرع به للإعانة في الدعوة أو في المدعوين أو لإعانة بعضنا فيما قد يحصل له من حاجة.

الفائدة الثالثة. أنه لو احتاج أحد منا أن يتزوج بامرأة مسلمة ليس لها ولي مسلم، فإنه يمكن أن يعقد النكاح لهم؛ لأن أهل العلم يقولون: إنه إذا كانت المرأة في مكان ليس فيه إمام ولا نائبه ولا أحد من أوليائها الصالحين للولاية، فإنه يزوجها ذو سلطان في مكانها، أي من جعلته القبيلة أميرًا أو حاكمًا أو ما أشبه ذلك.

الفائدة الرابعة. أن لا يتصرف أحد تصرفًا ينسب إلى المجموع إلا بإذنه، وأقول: «تصرفًا ينسب إلى المجموع»؛ لأن التصرف الشخصي الذاتي كلنا يتصرف فيه بما يناسبه، لكن التصرف باسم الجماعة لا يكون إلا بعد مراجعته، كما قال الله تعالى عن الصحابة ﷺ أنهم لا يذهبون إلى أي مذهب إلا بعد مراجعة النبي ﷺ.

السادس. أن لا نتخذ من هذه الصحوة تطرفًا في الاندفاع:

لأن التطرف قد يؤدي إلى تيار عكسي، صحيح أن الرجل إذا وجد شبابًا يؤازرونه ينشط ويحيا ويتحرك، لكن لابد أن يضبط تصرفه، وأن لا يندفع الاندفاع الذي يخل؛ لأن بعض الاندفاعات، ولاسيما في بلاد غير مسلمة، قد تلفت النظر، وحينئذ قد يقضى على الدعوة، وهذا أمر ينافي الحكمة، وله خطره، وكم رأينا من الاندفاعات التي يتصرف فيها المندفع تصرفًا منافيًا للحكمة؟ كم رأينا فيها من الخلل؟ وربما يقضى عليها حتى تموت.

السابع. الإخلاص لله. عزَّ وجلَّ.:

وأن يعتقد الداعي إلى الله أنه يدعو إلى دين الله، يدعو عباد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، إلى ما يقربهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإلى دار كرامته، يدعو عباد الله إلى ما فيه الحياة الطيبة والجزاء الحسن في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

وأسأل الله تعالى أن يثبتنا جميعًا بقوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصالحين مصلحين، وأن يشد عضدكم بنصرته وإعزازه، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.